أثار تمن التاريخ

قطعة من مكتوب شهاب الدين بن مري تلميذ ابن تيمية يعزي اخوانه تلاميذ شيخ الاسلام عنه ويحثهم على جمع مصنفاته

(أيها الاخوان)

لا تنسوا تقريرات شيخنا المفاوض الناقد الصادق قدس الله روحه لمعاني قوله بارك وتعالى في بيان الحكم الاربع التي أودعها الله سبحانه في ضمن انكسار عسكر الرسول في يوم أحد وهي قوله تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) فلا تهملوا أمر الفكرة الصالحة في هذه المعاني الشريفة وغيرها ولا تجزعوا لما حصل فان الله حي لا يموت وهو المتكفل سبحانه بنصر الدين وأهله والمتجبر لعباده فيما يقلبهم به والمتجبر بجملة مصالحهم والرؤف بهم والهادي لمن يشاء الى صراط مستقيم ولا يهلك على الله الا هالك والسعيد من قام بما عليه الى وفاته ومن أراد عظيم الاجر التام ونصيحة الانام ونشر علم هذا الامام الذي اختطفه من بيننا محتوم الحمام ويخشى دروس كثير من علومه المتفرقة الفائقة مع تكرر مرور الليالي والايام، فالطريق في حقه هو الاجتهاد العظيم على كتابة مؤلفاته الصغار والكبار على جليتها من غير تصرف فيها ولا اختصار ولو وجد فيها كثيرا من التكرار ومقابلتها وتكثير النسخ بها واشاعتها وجمع النظائر والاشباه في مكان واحد واغتنام حياة من بقي من أكابر الاخوان فكانا جميعا بكمال القوت وقد حان ويكفينا ما عندنا على ما فرطنا من عظيم الأسف فليوفه الله معشر الاخوان لا تماطلوا الوقت الحاضر بما عاملتم به الوقت الذي قد سلف فان حياته رحمه الله ورضي عنه كانت مأمولة الاستدراك الفارطات الفائتات وتكميل الغايات والنهايات فاغتنموا تحصيل كل مهمة في وقتها بلا كسل ولا ملل ولا تشاغل ولا تجهل لان هذا المهم الكبير أحق شيء يبذل في تحصيله المال الكثير وقد علمتم مضرة التعليل والتسويف وكون ذلك من أكبر القواطع عن مصالح الدنيا والآخرة فاحتفظوا بالشيخ أبي عبد الله (١) أيده الله وبما عنده من الذخائر

(١) يعني ابن القيم أجل تلامذة شيخ الاسلام اه

والنفائس وأقيموه لهذا المهم الجليل بأكثر ماتقدرون عليه ولو تألم احيانا من مطالبته لانه قد بقي في فقه فريدا ولا يقوم مقامه غيره من سائر الجماعة على الاطلاق وكل أحوال الوجود لابد فيها من العوارض والانكار فاحتسبوا مساعدته عند الله تعالى وانهضوا بمجموع كلفته فان الشدائد تزول والخيرات تتضاعف واكتبوا ماعنده وليكتب ماعندكم وأنا أستودع الله دينه وماعنده وأوصيه بالصبر أيضا وبمعاملة الله سبحانه فيما هو فيه وان قصر الاخوان في حقه وليطالب نصيبه من الله تعالى متكلا عليه في رزقه المضمون وعجلا في الطلب لان ماقسم لابد أن يكون وانما أحث همكم العالية عليه تحصيل كراريس الرد على عقائد الفلاسفة لانه ليس في الوجود بهذا المؤلف نسخة كاملة غير النسخة التي بخطي وكانت في الخرستان الشمالي من مدرسة شيخنا وأخبرني الشيخ شرف الدين رحمه الله تعالى انه أودع المجموع في مكتن حريز ولقد شح علي باتفاذ هذه الكراريس وقت الذهاب من الشام ولاقوة الا بالله والكراس الرابع منها أخذه أبو عبد الله من يدي وهو عنده ونسخة الاصل التي بخط الشيخ هي في القطع الكبير وكانت هناك أيضا وقد بقي من آخر نسختي أقل من ورقة فأوصلوا ذلك الى أبي عبد الله ليكمل النسخة الى عند قوله « فهذا باب وذاك باب والله أعلم بالصواب » والطوامي نسخة بخط كيس وكلوها لأنه مؤلف لانظير له ولايكسر الفلاسفة مثله ومن الله نسأل المعونة على جمع شمل هذه المصالح الجليلة بعد شتاتها ونفوذه من عوارض القواطع وآفاتها ، لان الفوت صعب ، وغائلة التفريط رديئة ، وانتهاز الفرص من أهم الأمور وأجمعها لمصالح الدنيا والآخرة ومايعقلها الا العالمون ، ويندم المفرطون في استدراك بقايا هذه الامور الكاملة والمقصرون ، كما نعم المتخيلون بطول حياة الشيخ والمقصرون وهذه الامور التي قد أشرت اليها في هذه الأوراق الخفيفة هي أعلا أبواب النصيحة وأتيها فيما أعلم لأن الذاهب مضى ، والوقت سيف متقض ، وكل من ذهب بعده من أكابر الاخوان ماعنه عوض والعمر في إدبار والشرور في زيادة واذا جمعت هذه المؤلفات العزيزة الكثيرة ونقل من المسودات مالم ينقل ونقل رأي أبي عبد الله في ذلك كله لانه على بصيرة من أمره وهو أخبر الجماعة بمظان المصالح

المفردة التي قد انقطعت مادتها وقوبل كل ما يكتب مع أصل الجماعة أو على نسخة الاصل وروجع شيخنا الحافظ جمال الدين الذي هو بقية الخير فتتبعه وخبرته وشفقته وحرصه على ظهور هذه المواد الصالحة في الوجود ولسعة علمه واحاطته بكثير من مقاصد شيخنا المؤلف وروجع الشيخان العالمان الفاضلان المحققان (القاضي شرف الدين وشمس الدين بن أبي بكر) فانهما أحذق الجماعة على الاطلاق في المناهج العقلية وغيرها واذكرهم للمباحث الاصولية فيما يشتبه من المقاصد خوفا من التصحيف وتغيير بعض المعاني وروجع غيرهم من أكابر الجماعة أيضا فكان في ذلك خير كثير واستدراك كبير ان شاء الله تعالى

(والشيخ أبو عبد الله) سلمه الله هو بلا تردد واسطة نظام هذا الامر العظيم فساعدوه وأزيلت ضرورته واجمعوا همته واغتنموا بقية حياته واقبلوا نصيحتي فيما اتحفته من هذا كله كما كنت أتحقق ان اغتنام أوقات الشيخ وجمعها على التأليف والاتقان والمقابلة خير من صرفها في مجرد المفاكهة المذيبة والمنادمة والنفوس فرحات كثيرا في ذلك المجال والله المسؤل بأن يكفيها مضرة كل الفوت الذي لا عوض عنه بحال انه رؤف رحيم جواد كريم فان يسر الله تعالى وأعان على هذه الامور العظيمة صارت ان شاء الله تعالى مؤلفات شيخنا ذخيرة صالحة للاسلام وأهله وخزانة عظيمة لمن يؤلف منها وينقل وينصر الطريقة السلفية على قواعدها ويستخرج ويختصر الى آخر الدهر ان شاء الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم « لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم في طاعة الله » وقال « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة » والله سبحانه يقول في كتابه (ويخلق مالا تعلمون) وكما انتفع الشيخ بكلام الأئمة قبله فكذلك ينتفع بكلامه من بعده ان شاء الله تعالى فابشروا أمر الله واقصدوا رضى الله بجمع كل ما تقدرون عليه من أنواع المؤلفات الكبار وأجوبة المسائل الصغار ومنها نسخ الفتاوى المتفرقة وسائر كلامه الذي قد ملئ ورقه المجلد من الفوائد والفرائد والشوارد فأيقظوا الهمم واذلوا الأموال الكثيرة في تحصيل هذا المطلب العظيم الذي لا نصيرة فيه هو الذي يلزمنا من حيث

الاسباب والقائم على رب الارباب ومسبب الأسباب وفاتح الأبواب الذي يقيم دينه وينصر كتابه وسنة نبيه على الدوام ويثبت من يؤهله لذلك من أنواع الخاص والعام ، وكل عجزي في القيامة بعمله (وما ربك بظلام للعبيد)

وقد علم أن الامام أحمد بن حنبل كان ينهى في حال حياته عن كتابة كلامه ليجمع القلوب على المادة الأصلية العظمى ولما وقع في استدراك أصحابه ذلك الامر الكبير فنقلوا عنه وبينوا مقاصده وشهروا فوائده فانتصرت طريقته واقتفيت آثاره لأجل ذلك والوجود هو على هذه الصفة قديما وحديثا فلا تيأسوا من قبول القلوب القريبة والبعيدة لكلام شيخنا فانه ولله الحمد مقبول طوعا وكرها وأين غايات قبول القلوب السليمة الكلية وتفهم الهمم الناقدة لمباحثه وترجيحاته ووالله ان شاء الله ليقيمن الله سبحانه لنصر هذا الكلام ونشره وتدوينه وتفهمه واستخراج مقاصده واستعسان محاسنه وغرائبه رجالا هم الآن في أصلاب آبائهم وهذه هي سنة الله الجارية في عباده وبلاده والتي وقع من هذه الأمور في الكون لا يحصي عدده غير الله تعالى ومن المعلوم ان (البخاري) مع جلالة قدره أخرج طريدا ثم مات بعد ذلك غريبا وعوضه الله سبحانه عن ذلك بما لا خطر في باله ولا مر في خياله من عكوف الهمم على كتابه وشدة احتفالها به وترجيحها له على جميع كتب السنن وذلك لكمال صحته وعظمة قدره وحسن ترتيبه وجمعه وجميل نية مؤلفه وغير ذلك من الاسباب ونحن نرجو أن يكون لمؤلفات شيخنا (أبي العباس) من هذه الوراثة الصالحة نصيب كثير ان شاء الله تعالى لانه كان بنى جملة أمور على الكتاب والسنة ونصوص أئمة سلف الأمة وكان يقصد تحرير الصحة بكل جهده ويدفع الباطل بكل ما يقدر عليه لا يهاب مخافة أحد من الناس في نصر هذه الطريقة وتبيين هذه الحقيقة وقد علم ان لكتبه من الخصوصية والنفع والصحة والبسط والتحقيق والاتقان والكمال وتسهيل العبارات وجمع أشتات المتفرقات والتعلق في مضايق الأبواب بحقائق فصل الخطاب ما ليس لأكثر المصنفين في أبواب مسائل أصول الدين وغيرها من مسائل المحققين لانه كان يجعل النقل الصحيح أصله وعمدته في جميع ما يبني عليه ثم يعتمد بالعقليات الصحيحة التي توافق ذلك

ويتبعها ويجتهد على دفع كل ما يعارض ذلك من شبه المعقولات ويلتزم حل كل شبهة كلامية وفلسفية كما تقدمت الاشارة الى ذلك ويلتزم أيضا الجمع بين صحيح المنقول وصريح المعقول ويجزم بأن فرض دليلين قطعيين متعارضين من المحال أن كان عقليين أو عقليا ونقليا قال لان الدليل هو الذي يجب ثبوت مدلوله فاما ان لا يكونا قطعيين واما أن لا يكون مدلولاهما متناقضين وعلى هذا المقصد الجليل بنى كلامه المتين وقياسيه العجيبة في أول قاعدته الكبيرة الباهرة التي الفها في دفع تعارض العقل والنقل فكانت مقاصده وتحقيقاته في هذا الباب العظيم عجبا من عجائب الوجود وكان يقول لا يتصور ان يتعارض حديثان صحيحان قط الا ان يكون الثاني منهما ناسخا للاول قال والامام أحمد بن حنبل كان في زمنه يصرح به ويلتزم تحقيقه وانا في زمني التزم حكم هذه القاعدة أيضا والنهوض بالجواب عن كل ما يعارضها وكان رحمه الله ورضي عنه يذب عن الشريعة ويحمي حوزة الدين بكل ما يقدر عليه وكان كما علم من حاله لا يخاف في هذا الباب لومة لائم ولا يقتفي غير ما يتحقق عنده ولم يزل على ذلك الى ان قضى نحبه ولقي ربه فقدس الله روحه ونور ضريحه ونضر مقاصده وأيد قواعده والله سبحانه يعلم حسن قصده وصحة علومه ورجحان دليله وهو ناصر الحق وأهله ولو بعد حين

وجميع ما وقع من هذه الامور فيه من الدلالة ان شاء الله على شمول أمره وظهور كلمة هذه العلوم الباهرة أكثر مما فيه من الدلالة على خلاف ذلك ولا قوة الا بالله غير ان الاشياء المقدورة تفتقر الى أسبابها المعلومة ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في العريش يوم بدر يجتهد على الاستغاثة بالله التي كانت أكبر أسباب النصرة في ذلك اليوم بعد ان عرفه الله تعالى قبل ذلك جلية مصارع القوم ولما التزمه أبو بكر من وراته قائلا له: يا رسول الله أهكذا مناشدتك ربك فانه وافٍ لك بما وعدك: لم يترك استغاثته به لعلمه ان الأمور المقدرة لا بد ان تقع بأسبابها اللازمة لها المعروفة بها ومصداق ذلك ما أنزله سبحانه في تقرير هذا الامر وتحقيق هذه القاعدة وهو قوله تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بالف من الملائكة مردفين ، وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا

من عند الله ان الله عزيز حكيم) لانه سبحانه بين حكم الاسباب المتقدمة والمتأخرة ورد الامر الى حقائق التوحيد بقوله (وما النصر الا من عند الله) وهذا هو نهاية مطالب هذا الباب واتباع هذه الاحكام الثابتة على هذه الصفة المؤيدة هو بلاشك أعلا مراتب العبودية وانقها وارفعها في حق مجموع البرية فاكثروا من استمال هذا الامر الجليل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الحمد لله وحده وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وسلام على جميع الصالحين

نموذج من انجيل برنابا

الفصل السبعون (١)

١ وانصرف يسوع من أورشليم بعد الفصح ودخل حدود قيصرية فيلبس (١) ٢ فسأل تلاميذه بعد أن أنذره الملاك جبريل بالشغب الذي يحم بين العامة قائلا : « ماذا يقول الناس عني ؟ »

٣ أجابوا : « يقول البعض انك ايليا وآخرون ارميا وآخرون أحد الانبياء »

٤ أجاب يسوع : « وما قولكم أنتم في ؟ »

٥ أجاب بطرس « انك المسيح بن الله »

٦ فغضب حينئذ يسوع وانتهره بغضب قائلا : « اذهب وانصرف عني (٢) لأنك أنت الشيطان وتحاول ان تسيء الي »

٧ ثم هدد الاحد عشر قائلا : « ويل لكم اذا صدقتم هذا الآتي ظفرت بلعنة كبيرة من الله على كل من يصدق هذا »

٨ وأراد ان يطرد بطرس ٩ فتضرع حينئذ الاحد عشر الى يسوع

---

(١) سورة الصف على التمام

(١) قابل هذا بما في مت ١٦ : ١٣ — ٢٠ — (٢) مت ١٦ : ٢٣